Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حميداً ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً . أتراك استضعفت تجنيس أبى تمام فى قوله :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب

واستحسنت تجنيس القائل :

حتى نجا من خوفه ومانجا

وقول المحدث (أبو الفتح البستى)

ناظراه فيما جنى ناظراه أودعانى أمت بما أودعانى

لأمر يرجع إلى اللفظ ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت فى الثانى ؟ ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفاً مكررة ، تروم لها فائدة فلا تجدها إلاّ مجهولة منكرة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها . . .

فقد تبين لك أن ما يعطى التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلاّ بنصره المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ، ولا وجد فيه إلا معيب مستهجن ، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به ، وذلك أن المعانى لا تدين فى كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم المعانى والمصرفة فى حكمها ، وكانت المعانى هى المالكة سياستها ، المستحقة طاعتها . (٤٨)

إن عبد القاهر الذى أطال التفكير أمام أقل نأمة فى التعبير الفنى (٤٩) كان شديد الثقة فى الفهم السائد للتجنيس ، فالمسألة فى ظنه لن تزيد عن كلمة تردد أو جزء فيها مرتين ، فى كل مرة لها معنى بذاتها أو من خلال متعلقها قد يكون المعنى الثانى عكس الأول (نجا وما نجا) وقد

---

(٤٨) أسرار البلاغة ص ١٠٠ والطريف حقا أن عبد القاهر اعتبر التجنيس مردودا فى حسنه إلى ما يتصور فى العقل ، ولكن المتأخرين قد وضعوه فى المحسنات اللفظية أى أنهم غلبوا الجانب المسموع على جانب الدلالة . وسنرى أنه لا يمكن تجريد العنصر الدلالى من قيمته الصوتية ، وأن تحليل عبد القاهر قد أرهص بذلك .

(٤٩) انظر مثلا تحليله لبيت الفرزدق :

وما حملت أم أمرئ فى ضلوعها أعق من الجانى عليها هجائيا

وقوله : والنكتة التى يجب أن تراعى فى هذا أنه لا تتبين لك صورة المعنى الذى هو معنى الفرزدق إلا عند آخر حرف من البيت ، حتى إن قطعت عنه قوله هجائيا ، بل الياء التى هى ضمير الفرزدق لم يكن الذى تعقله منه مما أراده الفرزدق بسبيل - دلائل الإعجاز ص ٤٦٦ .